

## العدول في المقابلة وأسواره البلاغية في الربع الأخير من القرآن الكريم - دراسة بلاغية -

نوره محمد ماجد الدوسري

### مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الهدى، وإمام المهتدين، معلم البشرية محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد..

القرآن الكريم معجز في آياته، فريد في دلالاته، بديع في صياغته، مدهش في صورته وبنائه، فيه من القوى الهائلة، والأسرار الكثيرة، ما يكفي لأن تدمن له النفوس، وتخضع لحكمه القلوب والعقول؛ لذا فالحديث عن أي جانب فيه، كالعدول في الطباق والمقابلة، يتطلب المزيد من التدبر والتأمل والبحث.

ولا شك في أن استعمال هذا الكتاب المحكم للأساليب البديعية ولاسيما المقابلة، يدل على دقته في توظيف العبارة، وتماسك الدلالة؛ لما يمتاز به التقابل من تداعي المعاني العاكسة في ذهن المتلقي، فلا يورد السياق أحد المتضادين إلا واستجلب ذهنه في اللفظ والمعنى، وقد لوحظ عدول هذا اللون عن نسقه المألوف في مواضع عديدة في القرآن الكريم؛ فكان في ذلك الباعث الأكبر لهذه الدراسة؛ لمعرفة الأسرار البلاغية في ذلك العدول، وما يكتنفها من غايات بلاغية في النص القرآني، ولما كان الموضوع كبيراً اختصت الدراسة بالربع الأخير من القرآن الكريم.

وتكمن أهمية الدراسة في جدة الموضوع، وحدائته، إذ لم تقم - حسب علمي - دراسات تتناول ظاهرة العدول في المقابلة، وللدراسة أهمية في بيان ظاهرة العدول في المقابلة للوقوف على معانيها، وفهم مقاصدها.

ومن النتائج المتوقعة في الدراسة، لفت النظر إلى موضوع المقابلة في القرآن الكريم، وما يطرأ عليها من العدول، وإثبات أن التراث البلاغي قد سبق النقد الحديث في اكتشافه لظاهرة العدول حيث تناوله بمسميات كثيرة منها الاتساع أو التوسع، والانحراف، وغيرها، وإظهار أن الوظيفة الرئيسية للعدول تتمثل فيما يحدثه من مفاجأة تثير المتلقي، وتستثير ذهنه، وتدفعه للبحث عن أسرار هذه الظاهرة، وبيان أن العدول في المقابلة لا يكون إلا لفائدة بلاغية تخدم المعنى، وتثري الدلالة.

ويتمحور جوهر البحث في العدول في المقابلة التي تتمثل في التركيب، والكم، والترتيب والعدول من الحقيقة إلى المجاز؛ وقد كان المصدر الأساسي الذي أعتد عليه في الجوهر بشكل كبير (تفسير ابن عاشور) لقلة المصادر المنطوقة للموضوع.

### تمهيد

#### أولاً: مفهوم المقابلة

#### المقابلة لغة

تشق كلمة المقابلة من الجذر اللغوي (ق ب ل)، ولها معان متعددة، منها أن أصل المقابلة في اللغة من قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً أي عارضه وقال الليث: إذا ضمنت شيئاً إلى شيء قلت قابلته به، ومقابلة الكتاب بالكتاب وقباله به: معارضته.. والمقابلة المواجهة، والتقابل مثله وهو قبالك وقبالتك أي تجاهك وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧). ١.

تعدد المعاني اللغوية للمقابلة، وهي تدور في مجملها حول المواجهة، أو المعارضة، أو المشاهدة، فمقابلة الكتاب بالكتاب معارضته في

الموضوع والأقسام وهكذا، ومقابلة شخص لشخص آخر مشاهدته عياناً، ومواجهته، فالسياق هو الذي يحدد المعنى المراد.

### المقابلة اصطلاحاً

حظيت المقابلة باهتمام النقاد قديماً وحديثاً، وقد اختلف البلاغيون فيها " فبعضهم جعلها فناً مستقلاً بذاته، وبعضهم جعلها من الطباقي؛ لأنها عبارة عن طباق متعدد، فالطباقي إذا جاوز ضدين صار مقابلة... وهذا هو الراجح...، وعليه فالمقابلة: أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو بمعان متوافقة ثم يقابلها على الترتيب"<sup>٢</sup>.

والمقابلة في الاصطلاح الحديث هي أسلوب أو طريقة في التعبير تقوم على مبدأ إقامة ضدية بين فكرتين أو تعبيرين أو كلمتين بمعنيين متقابلين أو متضادين.<sup>٣</sup> وبمعنى آخر التقابل بين الأشياء المؤتلفة من جهة، فالأشياء المختلفة من الجهة الأخرى.

### ثانياً: المقابلة في القرآن الكريم

للمقابلة أهمية عظيمة في النص القرآني، منها ترسيخ اللفظة أو الألفاظ المتقابلة في ذهن المتلقي، بذكر اللفظة وضدها في آن واحد، فلا يحتمل المعنى معنى آخر، ومن هنا، فالألفاظ المتضادة ليست من باب الصنعة اللفظية أو المعنوية، فلا يقصد منها إثبات الذات، أو الزينة البديعية، إنما هو "أساس من أسس التفكير والتعبير الإنساني، وليس زخرفاً من القول أو زينة يمكن الاستغناء عنها."<sup>٤</sup> والمقابلة "خاصية كونية، وسمة من أبرز السمات التي بُني عليها هذا الكون البديع، ولما كانت النصوص مرآة تعكس صور هذا الكون، فإنَّ التقابل يحكم بنياتها الداخلية."<sup>٥</sup> وهي من الأسس التعبيرية في الخطاب.

ويُظهر التقابل في النص القرآني تلاحماً قوياً، وإيقاعاً عدبياً، ولغة واضحة، وصوراً تثير الأذهان، بالإضافة إلى حسن الترتيب والتنسيق والتوازي بين الألفاظ المتضادة، ومما لا ريب فيه فإنَّ للمقابلة أهمية كبيرة في فهم النص القرآني؛ لأنَّ "القرآن كله وارد عليها بظهور نكتة الحكمة العلمية، من الكائنات والزمانيات والوسائط الروحانيات والأوائل الإلهيات؛ حيث اتحدت من حيث تعددت، واتصلت من حيث انفصلت."<sup>٦</sup>

### ثالثاً: مفهوم العدول

#### العدول لغة

العدول مشتق من الأصل اللغوي (ع، د، ل)، الذي تدور مادته حول دالتين متناقضتين، تدل إحداهن على الاستقامة والاستواء، والأخرى تدل على الاعوجاج والميل والانحراف.

فالأولى: العَدَلُ: "ما قام في النفوس أنه مُستقيم، وهو ضدُّ الجَوْرِ"<sup>٧</sup>، وأما الدلالة الثانية فيقال فيها: "العَدَلُ: الطريق. ويقال: الطريق يُعدَلُ إلى مكان كذا، فإذا قالوا يُعدَلُ في مكان كذا أرادوا الاعوجاج."<sup>٨</sup>

وما يهم البحث من هاتين الدالتين لمادة (عدل) هي الدلالة الثانية، حيث يتفق فيها (العدول) في معناه اللغوي مع المفهوم الاصطلاحي الذي استقرَّ عليه الدرس البلاغي، والذي يحمل معنى الخروج عن التسق الأصلي للغة، والميل عن نمطها المؤلف.

### العدول اصطلاحاً

#### ١ - العدول في التراث البلاغي والنقدي

لم يختلف البلاغيون في استخدام "مصطلح العدول" عن استخدام النحويين له. حيث سار على نفس المستوى، وبنفس الطريقة التي تعامل بها النحاة؛ وإنَّ اختلفت شيئاً يسيراً باختلاف اعتبارات كلٍّ من النحويين والبلاغيين، حيث يُتناول ضرورة وتقديراً في القياس النحوي مراعاة للغة في مستواها المثالي عند النحاة، وانتهاكاً لهذه المثالية عند البلاغيين لخلق لغة فنية تخدم معنى اللغة في مستواها الإبداعي - وإنَّ كان ذلك بالكاد أن يُرى بشكل واضح في الموروث البلاغي إلا أنَّه كان موجوداً آنذاك - كما يلجأ إليه البلاغيون للتوسع في

طرائق التعبير.

وقد عاش مصطلح العدول قديماً في حالة تذبذب وشيء من عدم الاستقرار والضبابية، ويظهر ذلك من خلال تعدد مسمياته وإن اتفق المعنى في كل منها، ومن طريقة استعمال البلاغيين له، والتي تتفق كثيراً مع النحاة - كما ذكر سابقاً- في اعتبار العدول عن نمط الكلام المألوف اضطراباً لضيق اللغة في مستواها المثالي عن تأدية المعنى. فخرجوا عنها اتساعاً للكلام وزيادة في المعنى للإبانة. ومن هؤلاء ابن الأثير (٦٢٧هـ) وذلك فيما أشار إليه في باب (في قوة اللفظ لقوة المعنى)؛ إذ يقول: "هذا النوع قد ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب "الخصائص"، إلا أنه لم يورده كما أورده أنا.. فأقول: اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني... وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة. ومما ينتظم بهذا السلك قَدَرٌ وأَقْتَدَرٌ، فمعنى اقتدر أقوى من معنى قدر، قال تعالى: "فَأَخَذْنَا هُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ"، فمقتدر ههنا أبلغ من قادر، وإنما عدل إليه للدلالة على تفخيم الأمر وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب أو للدلالة على بسطة القدرة، فإن المقتدر أبلغ في البسطة من القادر"<sup>٩</sup>.

ويعدّ عبد القاهر الجرجاني أكثر القدماء وضوحاً في العمل على عدول اللغة عن قياسها النحوي لاستعمالها فنياً، بشرط وجود قرائن وعلاقات تربط هذه اللغة الفنية باللغة المثالية المنزاحة عنها. "فهو وريث أبي عبيدة والفرء، وغيرهما من العلماء الذين حاولوا استنباط قواعد ثانوية على هامش القياس النحوي. قواعد تستأنس أولاً بالعرف العربي في استعمال اللغة فنياً، ثم تسعى لاستنباط قواعد الشواذ التي سميت حينها ضرورات وحيناً آخر مجازات، أي أساليباً وطرقاً غير مأنوسة"<sup>١٠</sup>، فهو يشير إلى العدول في كتابه (دلائل الإعجاز) في قوله: "اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين: قسم تعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم. فالقسم الأول: الكناية والاستعارة، والتمثيل الكائن على حد الاستعارة، وكل ما كان فيه على الجملة، مجازاً واتساعاً وُعدُولٌ باللفظ عن الظاهر"<sup>١١</sup>. وقد وقف عند قوله تعالى: "وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا" موضعاً أن العدول أكسب هذه الآية معنى جديداً لا يقدر على أدائه اللفظ إذا أُجري على ظاهره، يقول: "ولو أُجري اللفظ على ظاهره فقيل: وفجرنا عيون الأرض أو العيون في الأرض، لم يفد معنى الشمول وأن الماء يفور من كل مكان منها، بينما أن التعبير العادي يدل على أن الماء قد كان فار من عيون متفرقة في الأرض وتيجس من أماكن منها"<sup>١٢</sup>.

## ٢ - العدول عند المحدثين

تعدّ ظاهرة العدول من الظواهر المهمة في النقد الحديث، كما تعدّ من أهم الأركان التي قامت عليها الأسلوبية بالتحديد، "وهو علم قائم بذاته ينتج عنه قرار له قيم جمالية، يقوم على نظرية متجانسة ومتماسكة كونها تستند إلى اللسانيات الأدبية على اختلاف تياراتها المتباينة طوراً والمتشكلة أطواراً أخرى"<sup>١٣</sup>.

ويعود تاريخ ظهور هذا المفهوم في العصر الحديث "إلى أواخر القرن التاسع عشر على يد "فون درجيلتس" سنة ١٨٧٥م حينما أطلقه على دراسة الأسلوب من خلال الانزياحات اللغوية والبلاغية في الكتابة الأدبية"<sup>١٤</sup>.

ومفهوم العدول "من بين أكثر المفاهيم بروزاً في الخطاب النقدي المعاصر، وقد أطلق عليه علماء الأسلوب والشعر مصطلحات متنوعة.. وهي تلتقي جميعها حول مفهوم واحد، يسعى به أصحابه إلى ضبط الخاصية المحددة للأسلوب الأدبي"<sup>١٥</sup>.

وقد وُصفت ظاهرة العدول بعدة تعابير اصطلاحية، مثل: "الانزياح (L" ecart)، والتجاوز (L" abus) عند فاليري (Valery)، والانحراف (La deviation) عند سبيتزر (Spitzer)، والاختلال (La distorsion) عند والاك وفاران (Wellek et warren)، والإطاحة (La subversion) عند بايتار (Peytard)، والمخالفة (L" in fraction) عند تيري (Thiry)، والشناعة (Le scandale) عند بارت (Barthes)، والانتهاك (Le viol) عند كوهان (Cohen)، وخرق السنن (La vio lation) واللحن (L" incorrection) عند تودوروف (Todorov) (١٦..).

وهذه الفزارة المصطلحية لمفهوم العدول حديثاً ترجع إلى اختلاف مسوغات كل من مستخدميهما وإن اتفق الجميع على أنه خروج عن اللغة العادية، فمسوغات هذا الخروج هي التي تحدد المسمى. وإن كانت المدرسة اللسانية وبالتحديد الأسلوبية ترى في الخروج عن اللغة

العادية سرًا لجمال اللغة الشعرية؛ لاتصال المتلقي بالنص، إلا أنّ بعض علمائها يرون العكس من ذلك، ويظهر ذلك من خلال تسمياتهم المشحونة بالدلالات السلبية، والتي تعكس وجهات نظر أصحابها "كالإخلال والاختلال والشناعة، والخلل، والخطأ، والانحناء، والعصيان، والفضيحة، والجنون، والإطاحة"<sup>١٧</sup>، وغيرها من المصطلحات البعيدة عن الذوق النقدي والتي تسيء بشكل أو بآخر - وإن كانت قليلة الاستعمال - إلى لغة النقد. ويؤكد ذلك أحد الباحثين حيث يقول بأن هذه المصطلحات: "بعيدة جدًا عن اللياقة التي يجمل بالأدوات النقدية أنّ تتسم بها، ثم إننا لسنا في موضع اضطرار كي نقبلها"<sup>١٨</sup>.

ويرى عبدالسلام المسدي سببًا لهذه الغزارة المصطلحية أو ما يسميها بـ "الطفرة الاصطلاحية"، فيقول: "إنّ هذه الطفرة الاصطلاحية تكشف نسبةً المفهومين: مفهوم الواقع اللغوي النفعي و مفهوم الواقع اللغوي المُكرّس، لا فقط بعضهما إلى بعض بل كذلك نسبةً كلّ منهما إلى المواصفات التاريخية و السيسولوجية. والذي يعنيها نحن في معرض استجلائنا لمقومات تحديد الأسلوب، هو محاولة كلّ المفكرين اللغويين انطلاقًا من هذه المصطلحات رسم المقاييس الكاشفة لهذين الواقعين من الظاهرة اللغوية عامّة"<sup>١٩</sup>.

وهذه الثنائية التي تحدث عنها المسدي لواقع اللغة، والتي يراها أنّها المحددة للأسلوب عند اللغويين، قد تحدث عنها جان كوهين "ويعد أول من خص مصطلح العدول بحدوث مستفيض في مجال حديثه عن لغة الشعر، فقد قامت نظرية الانزياح اللغوي لديه على مجموعة من الثنائيات ضمن استراتيجية الشعرية البنوية في كتابه "بنية اللغة الشعرية" الذي ظهر عام ١٩٦٦م حيث أثار ثنائية المعيار والانزياح مستفيدًا من الأسلوبية الشائعة في فرنسا، كأسلوبية شارل بالي، وشار برونو، وكيرود. وسواهم"<sup>٢٠</sup>، فيتحدث عن ذلك معبرًا عنه بالانتهاك، ويرى أنّه هو: "الانتهاك الذي يحدث في الصياغة، والذي يمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب، بل ربما كان هذا الانتهاك هو الأسلوب ذاته. وما ذلك إلا لأنّ الأسلوبيين نظروا إلى اللغة في مستويين: الأول -مستواها المثالي في الأداء العادي، والثاني -مستواها الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكها. والمستوى العادي هو الذي يعتمد النحو التقديدي في تشكيل عناصره، كما يعتمد اللغة في تنسيق هذه العناصر"<sup>٢١</sup>.

ويرى فيلي ساندريس بأنّ تعريف الأسلوب خروجًا على المعيار: "مذهب بحثي أسلوب، ركيزته الأسلوب الأدبي، فتعد اللغة العادية الحالات التي تخرج على المعيار أخطاء، غير مقبولة، وتعدّها اللغة الشعرية شواذ يمكن استعمالها، وتذهب أبعد من هذا، فتري أنّ الجودة الشعرية لأي عمل لغوي معتمدة على هذه الحالات"<sup>٢٢</sup>.

ويعدّ تمام حسان أكثر النقاد المعاصرين اهتمامًا بظاهرة العدول؛ حيث كانت له وجهة نظر خاصة في العدول الأسلوب، وذلك حينما عدّه "خروج عن أصل، أو مخالفة لقاعدة، ولكن هذا الخروج، وتلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوب قدرًا من الاطراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها."<sup>٢٣</sup>

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنّ معظم المصطلحات التي ظهرت في النقد الغربي المعاصر، كان لها جذور في النقد البلاغي العربي القديم، وقد ذكرنا هذه المصطلحات عند النقاد العرب القدماء، كالانحراف، والتحويل والعدول.. لكن المصطلح الجديد والذي لاقى رواجًا من بين هذه المصطلحات هو الانزياح، وقد اعتمدوا في هذه التسمية على الثقافة الغربية، وبخاصة الفرنسية، وعلى الرغم من ترسخ جذور مفهوم العدول في الفكر البلاغي القديم والدراسات النقدية الحديثة إلا أنه يواجه بعض المشكلات كما يرى بعض الباحثين؛ حيث يقول: "وإذا كان لهذا المفهوم جذور في الفكر البلاغي القديم، فإنّ صياغته النظرية المتكاملة لم تتم إلا في ضوء بروز النموذج اللساني في النظرية الأدبية الحديثة، وما نجم عن ذلك من آثار تجلت في طبيعة الأسئلة المطروحة والصياغات المقدّمة. ولعلنا ندرك اليوم أنّه بقدر استفادة الناقد من المعرفة اللسانية بقدر تأديها، فصيغة (الانزياح) المقترحة من لدن الأسلوبيين لضبط معيار اختلاف اللغة الشعرية عن اللغة العادية، على الرغم من كفايتها، قد واجهت مشكلات كثيرة:

أولها - مشكل تحديد القاعدة التي يتم الانزياح عنها: إنّ أصحاب هذا المفهوم يواجهون مشكل ضبط المعيار الذي يقاس به الأسلوب. ثانيهما - يترتب على القول بمفهوم الانزياح اعتبار اللغة الشعرية أرقى مستويات اللغة، فكلما تحقق قدر أكبر من الخرق للمعايير اللغوية العادية، والابتعاد عن درجة الصفر في الأسلوب، كلما اقتربت اللغة من جوهر الشاعرية. ومضاد هذا التصور الذي يبيّن مفهومه الجمالية على أساس الانزياح هو نفي هذه الصفة عن الرواية بما هي -جنس نثري- واعتبارها أدنى منزلة من الشعر. إنّ وصف الأسلوبيين

للغة الأدبية بأنها انتهاك لنظام اللغة العادية صوتياً وتركيبياً ودلالياً لا يترجم الخاصية الأدبية للرواية، وأنه وصف لطبيعة اللغة الشعرية. في هذه الحال لا ترقى الرواية في نظر أصحاب هذا المفهوم إلى تمثيل جوهر الأدب<sup>٢٤</sup>.

#### رابعاً: وظيفة العدول

في ضوء عرض مفهوم "العدول" قديماً وحديثاً فقد اتفق النقاد على أهمية الانزياح أو الانحراف في الناحية الفنية في النص سواء أكان قرآنياً أم أدبياً، ويُعد من العناصر المهمة في قوام العملية الإبداعية، ولكل عدول غاية بيانية؛ لأن: "التركيب اللغوي في أدائه الفني قد ينزاح عن النمط التقليدي بأن يتضمن بعض الملامح التي ينفرد بها عما سواه، ولا ينبغي أن تنظر إلى تلك الانزياحات على أنها رخص شعرية أو ابتداء فردي، وإنما هي في الواقع نتاج براعة استخدام المادة اللغوية المتوفرة، وتوظيفها الذكي للإمكانات الكامنة في اللغة"<sup>٢٥</sup>. ومما لا شك فيه أن العدول لا يأتي إلا لغرض يقصده المتكلم ولذلك "فإن المتكلم حين يخرج عن الحدود المعيارية المطردة، ويلجأ إلى الانزياح التركيبي فإنه يسعى إلى أن يحقق هدفاً دلالياً، لا يستطيع أن ينجزه من خلال الحدود المعيارية التي وضعها المتحدثون باللغة، فتلك الحدود تحقق المستوى النفعي في حين أن الخروج إلى ما هو هامشي أو ثانوي أو استثنائي يحقق الوظيفة الإبداعية [...] وهدف ذلك أن يحقق للنص سمات جديدة تعجز عنها اللغة في حال تمسكها بأبعادها المعيارية الصارمة"<sup>٢٦</sup>. وتقوم مهارات الاتصال بين النصوص على ركائز ثلاث: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، وبما أن العدول هو أهم ما قامت عليه الأسلوبية، فإنه مرتبط بلا شك بهذه الدعائم الثلاث، وتتجلى وظيفته في التأثر والتأثير عليها لكمال عملية التواصل بعضهم ببعض في العمل الأدبي. ويمكن بيان وظيفة العدول الأسلوبية في كل طرف منها فيما يلي:

#### ١- العدول والمرسل

إن التنوع في الأسلوب إمارة على ثراء النص، والثروة اللغوية التي يملكها المرسل، لذا عليه استخدام ألفاظه وتراكيبه بدقة وعناية بالغة. والمتكلم "حينما يضرب صفحاً عن صيغة، ويطلب أخرى لا يفعل ذلك إلا عندما يظهر له أن في الثانية فائدة تقتصر إليها الأولى، وإلا لما عدل إليها؛ وأولى الفوائد التي يتوخاها المتكلم هي فائدة المعنى الذي من أجله كان الخطاب أصلاً، بدليل أنه لو كان في العدول ما يخل بالمعنى لما جاز"<sup>٢٧</sup>. وقد يكون هذا العدول اختيارياً يلجأ إليه المخاطب "لغايات ودلالات فنية وجمالية يهدف إليها كالإثارة الذهنية، أو التشويق العقلي، أو لفت الانتباه، أو التأكيد أو غير ذلك من الأهداف التي يسعى إليها الكاتب، وقد يكون.. اضطرارياً للمحافظة على قافية أو وزن، كما يفعل الشاعر حينما تدفعه المحافظة على الميزان الشعري إلى أن يسلك دروباً يباح له فيها ما لا يباح للناثر"<sup>٢٨</sup>. ومن الأهداف الأخرى التي يسعى المخاطب لتحقيقها عند لجوئه إلى "العدول، "البعد الجمالي" في الأدب الذي قد لا يتحقق إلا عن طريق الانزياح، ومن ذلك الضرورات الشعرية التي يلجأ إليها الشاعر، والواقع أن محاولة تصوّر الأسلوب كإنزياح عن القاعدة الموجودة خارج النص، وابتعاد متعمد من المؤلف لتحقيق أغراض جمالية هو أمر مقبول، ولا يمكن إنكار حقيقة أن هذا التصور يساعدنا على شرح كثير من الظواهر اللافتة للنظر في النصوص الأدبية، ولعل هذا يتضح أكثر في تلك الحالات التي كانت تعد منذ القدم درجة من درجات الحرية الخلاقة أو الضرورة الشعرية التي يستبجها لنفسه الشاعر الكبير، وهو على ثقة من أنها لن تعد عجزاً أو قصوراً، بل استثماراً مشروعاً لإمكانات خارجة على نطاق التعبير العادي المؤلف، وتقجيراً لدرجة عليا من الشعر لا يتأتى الوصول إليها بشكل آخر"<sup>٢٩</sup>. ويعمل العدول على كشف الحالة النفسية المسيطرة على المبدع في حالة إبداعه، ويشير أحد الباحثين إلى هذه الوظيفة النفسية لظاهرة العدول فيقول: "قد يمثل الانتقاص نازعاً نفسياً يوحي بتضارب الأشياء والأحداث وتداخلها في العقل الباطن للمبدع، ويكون الانتقاص هو التمثيل اللغوي لهذا النزوع النفسي"<sup>٣٠</sup>.

#### ٢- العدول والمتلقي

المتلقي هو الشخص الذي يستقبل النص. والمتلقون مستويات، ولكل مستوى قدرة على التلقي، ويضاف إلى هذا تغير اللغة الخطابية من

فئة لأخرى، نظرًا لمستواها الاجتماعي أو السياسي.. فعامة الناس لا تخاطب بالصيغة نفسها التي يخاطب بها الوالي أو الأمير.. لذا على الأديب أن يحسن اختيار ألفاظه، ف"اعتبار حال المتلقي عند إنشاء الخطاب من أهم المرتكزات التي قامت عليها البلاغة العربية ولخصتها العبارة الشهيرة "لكل مقام مقال" التي تضرب للمتلقى سهمًا وافرًا في بناء العبارة، وتجعله شريكًا في إنتاج الخطاب، فيضطر المتكلم إلى صياغة خطابه وفق أصناف المخاطبين ومستوياتهم، ووفق حالاتهم النفسية ومقاماتهم الاجتماعية، فيلغي من ملفوظه كل ما يباه مقام التلقي بطرح صيغ وطلب أخرى." ٢١ وترتكز نظرية التلقي على "أهمية إيصال المادة الأدبية، وتقليبها على وجوهها، لإدراك أبعادها الجمالية والمعرفية، لذلك فهي تصب اهتمامها على آلية الاستجابة والأدوات التي يحملها المتلقي عندما يواجه نصًا ما، فالظاهرة الجمالية تطلب حساسية المتلقي ومستقبلات ذوقية ينتج عنها استثارة انفعالاته الجمالية وجذب اهتمامه إلى تلك المادة، ثم الفوص في المواطن المعرفية، من خلال ملكة الوعي ومرجعياته النقدية والثقافية، فللتلقي غاية جمالية ومعرفية تشترك في تحصيلها الحواس والثقافة والتأمل والخيال، والمتلقي يعيد بناء الأثر المعرفي في النص، ولكنه في الوقت ذاته يتذوق أبعاده الجمالية" ٢٢.

التذوق الجمالي والفني والإثارة في تلقي العمل الأدبي من الغايات الأساسية في بناء العملية الأدبية، فلا بد له أن يراعي الحالة النفسية للمتلقين، "وإذا كان جديرًا بالمبدع مراعاة الحالة النفسية للمتلقى عند إنشاء خطابه فإن ذلك يوضح بأن الدافع إلى العدول الأسلوبية نفسي بحث، حيث تتمثل وظيفة العدول بـ(المفاجأة) التي يشعر بها المتلقي فإذا كان العدول يشكل ما يسمى "الخاصية الأسلوبية التي هي نوع من أنواع الخروج على الاستعمال العادي للغة بحيث ينأى الشاعر أو الكاتب عمدًا تقتضيه المعايير المقررة في الاستخدام اللغوي" ٢٣، فإن قيمة كل خاصية أسلوبية تتناسب مع "حدة المفاجأة التي تحدثها تناسبًا طرديًا بحيث إنها كلما كانت غير منتظرة كان وقعها في نفس المتلقي أعمق" ٢٤.

### ٣- العدول والنص

يعدّ النص الأدبي "تجربة أدبية ذاتية للمبدع تنقل تجارب حياتية، هي أميل إلى الجانب النفسي، والذاتي للمنشئ منه للجانب الموضوعي، تبقى اللغة المجسدة للنص الأدبي" ٢٥. فالأديب في النص الأدبي يكشف عن مشاعره، وأحاسيسه، وانطباعاته، وما يجول في ذهنه من أفكار ورؤى دفينية في أعماق نفسه. ويعبر عن ذلك بلغة دقيقة منقحة من الشواثب، والعيوب؛ لأن ثمة مستقبل في انتظار العمل الأدبي، وقد تتألف الذات المستقبلية، مع الذات المبدعة، نظرًا لتقارب المشاعر، وقد تتنافران لاختلافهما. والمبدع يركز في لغته على الغريب، ليدهدش المتلقي بقدرته اللغوية، وجمال صورته، وتراكيبه. "وظيفة العدول تخدم في المقام الأول النص وتلقي النص" ٢٦. ولغة العدول "لغة إيعاءات تفرغ من شحنتها الموروثة التقليدية، وتملؤها بشحنة جديدة، تتحرف بها، وتخرجها عن إطارها العادي ودلالاتها الشائعة." ٢٧ وتسهم في عملية التواصل بين المخاطب والمخاطب، فالاختيار والانحراف الأسلوبية "يشكلان أهمية كبيرة في أسلوبية التلقي، إذ إن الاثنين يمارسان سلطة ما على المتلقي الذي يجد نفسه مدفوعًا لتأويل اختيار المبدع والانحراف البارز أمامه في النص." ٢٨ ويضفي العدول على الأدب قيمًا جمالية تزيد من رونقه وبهائه، ويعمل على "توتير اللغة؛ لبعث الحياة والجدة، والرشاقة، والجمال، والعمق، والإيقار، والاختصاص، وما إلى هذه المعاني التي تتراد من تحريف استعمال أسلوبية عن موضعه" ٢٩.

### العدول في المقابلة وأسواره البلاغية في الربع الأخير من القرآن الكريم

يتمثل العدول في المقابلة في الخروج عن نسقتها المؤلف، من خلال الانحراف عن أحد شروطها، كالعدول في التركيب، والعدول في الكم، والعدول في الترتيب، وأيضًا يشكل العدول من الحقيقة إلى المجاز أحد ألوان العدول في المقابلة .

### أولاً: العدول في التركيب

#### أ- العدول عن طريق الالتفات

ومن المواطن القرآنية التي تتمثل فيها تلك الصورة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا

أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَّ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿الشورى: ٤٨﴾.

ففي هذه الآية الكريمة تحول الخطاب من ضمير المتكلم في: «وَأَنَا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً»، إلى ضمير الغائب في: «وَأَنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ». وهذا العدول في الضمائر ينسجم مع السياق القرآني، فالله تعالى نسب الرحمة إلى نفسه، في حين لم ينسب السيئة إليه، بل إلى أيديهم. ولهذا التحول غرضان:

الأول: إن السيئة أصابتهم بسبب أفعالهم؛ فأدى إسناد الفعل إلى ضمير الغيبة العائد إليهم في هذا المعنى، وفي ذلك يقول عز وجل: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ»، وذلك يدل على أن «الْمَصَائِبَ الَّتِي تُصِيبُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا مَا سَلَطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَزَاءً عَلَى سُوءِ أَعْمَالِهِمْ»<sup>٤٠</sup>؛ ولذلك لم تسند إلى الله تعالى، وإن كان هو المسبب لها بمقتضى عدله ومشيبته.

الثاني: إصابتهم بالسيئة نادرة بالنسبة لإصابتهم بالنعمة<sup>٤١</sup>. يقول تعالى: «فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطْفِرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿الأعراف: ١٢١﴾».

وثمة ملاحظة أخرى في الآية، وهو استخدام (إذا) مع الحسنه والرحمة، و(إن) مع السيئة، فالأولى تدل على كثرة الوقوع، والثانية

على ندرة الوقوع<sup>٤٢</sup>.

ومن صور الالتفات الأخرى قوله تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿الجاثية: ٢٠-٢١﴾». فالمقابلة، هنا، بين وصف جزاء المؤمنين، وإدخالهم الجنة، وحال الكافرين. وكان الوصف الأول بضمير الغائب فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ، ثم تحول إلى المخاطب في الوصف الثاني أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ؛ وذلك لاستحضار مشهد المجرمين «تقريباً وتوبيخاً [قائلين]: أما قرئت عليك آيات الرحمن فاستكبرتم عن اتباعها، وأعرضتم عند سماعها، «وكنتم قوماً مجرمين» أي: في أفعالكم، مع ما اشتملت عليه قلوبكم من الكذب»<sup>٤٣</sup>؛ فعدلت الآية عن التصريح بالعقاب إلى التوبيخ والتترع الذي يدل على العذاب.

## ب- العدول في الجملة الشرطية

كثيراً ما تتشكل جملتان شرطيتان نوعاً من المقابلة على نحو قوله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿فصلت: ٤٦﴾»، وكثيراً ما تخرج هذه المقابلة عن شروط صحة المقابلات فيعدل أحد شرطيهما عن الآخر لغرض بلاغي، والشواهد القرآنية كثيرة، كقوله عز وجل: «إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿الزمر: ٤١﴾».

الجملة الشرطية هي الأساس في أسلوب المقابلة في الآية السابقة، وقد جرت المقابلة بين أداة الشرط وفعله على النهج ذاته، فأداة الشرط (مَنْ)، وفعلها بصيغة الماضي (اهتدى وضل)، لكن ثمة اختلاف يكمن في جواب الشرط، حيث عدل في الطرف الثاني من المقابلة عن الصياغة اللغوية في الطرف الأول «فلنفسه»، إلى جملة القصر «وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا». ومثل ذلك قوله «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿يونس: ١٠٨﴾»، وقوله: «وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿النمل: ٩٢﴾»، ف«جاء في تينك الآيتين بصيغة قصر الانتهاء على نفس المهتدي، وترك ذلك في هذه السورة، ووجه ذلك، أن تينك الآيتين واردتان بالأمر بمخاطبة المشركين، فكان المقام فيها مناسباً لإفادة أن فائدة اهتادهم لا تعود إلا لأنفسهم، أي ليست لي منفعة من اهتادهم، خلافاً لهذه الآية فإنها خطاب موجه من الله إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - ليس فيها حال من ينزل منزلة المدلِّ باهتدائه... أما قوله: «وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا فَصِيغَةُ الْقَصْرِ فِيهِ لِتَنْزِيلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَسْفِهِ عَلَى ضَلَالِهِمْ الْمَفْضِي بِهِمْ إِلَى الْعَذَابِ مَنْزِلَةً مَنْ يَعُودُ عَلَيْهِ مِنْ ضَلَالِهِمْ ضُرٌّ، فَخُوطِبَ بِصِيغَةِ الْقَصْرِ، وَهُوَ قَصْرُ قَلْبٍ عَلَى خِلَافِ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ»<sup>٤٤</sup>؛

ومن أمثلة العدول الأخرى في جواب الجملة الشرطية قوله عز وجل: «وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ

مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾ (غافر: ٢٨).

وقع العدول في هذه الآية في طرف المقابلة الثاني، حيث جاء جواب الشرط في الجملة الثانية جملة فعلية "يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَدْعُكُمْ" على خلاف جواب الشرط في الجملة الأولى "فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ"، حيث جاءت شبه الجملة من الجار والمجرور، والسبب في هذا العدول هو أن الفعل موضوعه "أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء" ٤٥، ويفيد الفعل المضارع معنى الاستمرار. والمراد من قوله "يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَدْعُكُمْ"، أي: "قدم قسم الكذب على قسم الصدق إزاحة التهمة التي خشي أن تطرق إليه في حق موسى عليه السلام، ووثوقاً، بأن القسم الثاني وهو صدقه هو الواقع. فلا يضره تأخيره في الذكر لهذه الفائدة. ومن ثم قال بَعْضُ الَّذِي يَدْعُكُمْ ولم يقل: كل ما يعيدكم تعريضاً بأنه معهم عليه" ٤٦. ويستمر ذلك العذاب، ويتجدد ليشمل عذاب الآخرة.

وفي هذه الآية حوار بين الرجل المؤمن، وقوم فرعون، وهو يضع أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بين أمرين فرضيين، هما: إن كان كاذباً لا يضركم كذبه، وإن كان صادقاً فسيصيبكم بعض ما أنذركم به، فالمنطق يقتضي أن نصدقه. ومن أجل هذا كان العدول لإبراز الفرق بين الافتراضين.

ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ١٠).

المقابلة في هذه الآية قائمة بين فإنما يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا، وقد اختلفت صياغة الجملة الشرطية الأولى عن الجملة الشرطية الثانية، بمجيء جواب شرط الجملة الأولى جملة قصر، أي إن نكثه للعهد، وعدم وفائه به مقصوراً عليه، وسيعود عليه بالضرر؛ لأن العقوبة واصله إليه وحده دون غيره؛ لأن الله غني عن عباد، ولا يضره كفرهم وعنادهم، وهنا، إيجاز: لأن دلالة العقوبة بالعذاب لمن نكث تقهم من دلالة المقابلة، وكذلك من أوفى بما عاهد عند الله لا يزيد في ملكه شيئاً.

### ج - العدول عن الجملة الاسمية إلى الفعلية

إن الأصل في المقابلة أن يطابق الطرف الأول الطرف الثاني في التركيب، وما خالف ذلك يعدّ عدولاً. ومن أمثلة العدول عن الجملة الاسمية إلى الفعلية قوله عز وجل: ﴿وَجْهٌ يُؤَمِّنُ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ وَوَجْهٌ يُؤَمِّنُ بِأَسْرَةٍ تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةً﴾ (القيامة: ٢٢-٢٥). ففي هذه الآيات عدل في قوله: تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةً عن الجملة الاسمية إلى الفعلية، وخالف ما يقابلها في الطرف الأول إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، إذ إن النسق مقابلة الجملة الاسمية بجملة اسمية أخرى. كما في تقابل الآيتين:

وَجْهٌ يُؤَمِّنُ نَاصِرَةٌ ----- وَوَجْهٌ يُؤَمِّنُ بِأَسْرَةٍ .

وسر هذا التحول في صياغة هذه الآية إلى الجملة الفعلية، وفعلها المضارع بالتحديد مقدر على أداء المعنى، وهو الاستمرار والتجدد، لا الجمود، إذ إن المراد: تجدد حدوث اليقين في نفوس الكفار بأنهم هالكون. وبذلك صورت هذه الصياغة مدى حجم العذاب النفسي المستمر، ومدى بؤسهم وشدّة الهلع الذي يصيبهم يوم الحساب. فتبين الآية الأولى أنهم في منتهى اللذة والغبطة والسرور، في حين تبين الآية الثانية المقابلة أن الكافرين في موقف لا يحسدون عليه.

ومثل هذه الصورة في موطن آخر قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ وَوَجْهٌ يُؤَمِّنُ مَسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوَجْهٌ يُؤَمِّنُ عَلَيْهَا غَيْرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (عيس: ٢٨-٤٢).

بدأت المقابلة بجملة اسمية وَوَجْهٌ يُؤَمِّنُ مَسْفِرَةٌ، وقابلتها في الطرف الثاني وَوَجْهٌ يُؤَمِّنُ عَلَيْهَا غَيْرَةٌ. بينما قابلت الجملة الاسمية ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ، جملة فعلية تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ، والمراد بذلك: استمرار تعشي وجه الكفار بالسواد، أي يغشى تلك الوجوه قترة، وهي الغبرة. ٤٧

### د - العدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ الْأَنَّ الَّذِينَ يَمَارُونَ فِي

السَّاعَةَ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿(الشورى: ١٨).﴾

عُدل في هذه الآية عن الجملة الفعلية إلى الاسمية، في قوله "مشفقون"، وفي الأصل أن توافق صياغة ما يقابلها "يستعجل"، وأن تكون "يشفقون"، وفي هذا التحول دليل على أن الإشفاق صفة ثابتة في نفوس المؤمنين، وأن "إشفاقهم منها إشفاق عن يقين، وجزم لا إشفاق عن تردد وخشية" ٤٨، ولذلك عطفت على "مشفقون منها"، جملة "يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ"؛ لتوكيد ثبات هذه الصفة، ويقينها في أنفسهم. ويفيد هذا العدول أن استعجال الكفار أمر عرضي، وإشفاق المؤمنين أمر ثابت جوهري.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (الشورى: ٢٦).

وفي هذه الآية جرت المقابلة على غير نسقتها المثالي، وقد عدل عن الجملة الفعلية في الطرف الأول وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا إلى الجملة الاسمية في الطرف الثاني الْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ؛ لإشغال دلالة الفعل في الطرف الأول، وهو استمرار الحدث، وتجده، فاستجابة الله تعالى للمؤمنين مستمرة، وزيادة فضله عليهم متجددة. "والاستجابة: مبالغة في الإجابة، وحُصِّت الاستجابة في الاستعمال بامتنال الدعوة أو الأمر... ولما كانت الاستجابة والزيادة كرامة للمؤمنين، أظهر اسم "الَّذِينَ آمَنُوا"، وجاء به موصولاً؛ للدلالة على أن الإيمان هو وجه الاستجابة لهم والزيادة لهم". ٤٩ وجرت دلالة الاسم في الطرف الثاني، حيث إن شدة عذاب الكافرين ثابتة جزاء لكفرهم بالله، "وتوكيداً للوعيد وتحذيراً من الدوام على الكفر بعد فتح باب التوبة لهم. ٥٠ كما أن في الآية احتباك وإيجاز فقد حُذِف من الطرف الأول (الثواب)، وحذف من الطرف الثاني (عدم الاستجابة) بدلالة المقابلة.

### حالات أخرى

ومن الحالات الأخرى التي جاء العدول فيها من ناحية التركيب، قوله عز وجل: ﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٍ﴾ (الجنات: ١١).

الجملة الأولى "استئناف ابتدائي انتقل به من وصف القرآن في ذاته، بأنه منزل من الله، وأنه من آيات الله إلى وصفه بأفضل صفاته" ٥١.

"والمناسبة أن القرآن من جملة آيات الله، وأنه مذكر بها، فالذين كفروا بآيات الله كفروا بالقرآن في عموم الآيات" ٥٢.

وقد جاء العدول في هذه المقابلة في ذكر كلمة "هدى" صريحة في الطرف الأول، وترك ذكر كلمة (الضلال)، فمعناها مضمّن في الطرف الثاني تضميناً في قوله: "والذين كفروا بآيات ربهم"؛ وذلك لدلالة "الهدى" عليه. فوصف القرآن "بأنه هدى" من الوصف بالمصدر للمبالغة، أي هاد للناس، فمن آمن فقد اهتدى، ومن كفر فله العذاب؛ لأنه حرّم نفسه من الهدى، فكان في الضلال، وارتبِق [علق ونشب] في المفسد والآثام. ٥٣

ومن صور العدول في التركيب قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (المدثر: ٣٢-٣٤).

المقابلة في هذه الآية جرت بين:

الليل ← الصبح

إذ ← إذا

أدبر ← أسفر

وقع العدول في هذه المقابلة في الاختلاف اللفظي بين (إذ) و(إذا)، فاستعمل في الطرف الأول (إذ)، واستعمل في الطرف الثاني (إذا)، وهما "ظرفا زمان منتصبان على الحال من الليل، ومن الصبح.. أقسم بالليل في حالة إداره التي مضت، وهي حالة متجددة تمضي، وتُحضر، وتُستقبل، فأى زمن اعتُبر معها فهي حقيقة بأن يُقسم بكونها فيه، ولذلك أقسم بالصبح إذا أسفر مع اسم الزمن المُستقبل." ٥٤

و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان، بينما (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان. ومجيؤهما على هذه الصورة مناسب للسياق القرآني،

فر (إذ) ارتبطت مع الزمن الماضي لإدبار الليل، الذي سيعقبه إسفار النهار، المرتبط ب(إذا) التي تدلّ على المستقبل. كما حصل عدول في كلمة (أسفر) إذ الأصل أن تكون (أقبل) فعدل عنها إلى (أسفر)؛ لأنها أنسب للمقام الذي وردت فيه حيث أفادت إشراق النهار وضيائه.

### ثانياً: العدول في الكمّ

يشترط في المقابلة أن يكون طرفاها متساويين في الكمّ مما يترتب عليه تساوي المعنى، والخروج عن هذا التساوي الكمّي، يعدّ عدولاً، ويحمل معه دلالات ومعان جديدة، ومن أشكاله الزيادة اللفظية في أحد أطراف المقابلة، ومقابلة اثنين بثلاثة، ومقابلة ثلاثة باثنين، والإيجاز والإطناب بين أطراف المقابلة.

### أ- الزيادة في اللفظ :

ومن أمثلة ذلك في المقابلة قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿﴾ (الزمر: ٧١-٧٢-٧٣).

جرت المقابلة في هذه الآية الكريمة على النحو الآتي:

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ← وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا  
حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ← حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا

ففي طرف المقابلة الأول جاء وصف الله تعالى لأهل النار بغير واو (فتحت)، في حين سبق طرف المقابلة الثاني في وصف حال أهل الجنة بالواو (وفتحت)، فعدل عن أصل المقابلة بزيادة الواو في الطرف الثاني. وقد خصت الزيادة في الطرف الثاني لاختصاص معناها بحال أهل الجنة دون حال أهل النار، "فالواو في الجملة" وفتحت أبوابها" واو الحال، أي حين جاءوها، وقد فتحت أبوابها فوجدوا الأبواب مفتوحة على ما هو الشأن في استقبال أهل الكرامة" ٥٥. ويمكن عدّها واو العطف، وما قبلها جواب الشرط محذوف؛ ليعترك للخيال أن يقدر ما يلقاه المؤمنون من الجمال، والبهاء، والنعيم، والتكريم، والحفاوة حين وصولهم إلى الجنة، بدليل ما قاله خزنتها في سياق الآية: "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ"، فالواو هنا "أحدث هذا الفرق الكبير بين مشهدين متعاقبين" ٥٦ متقابلين. فأضفى العدول بزيادة الواو بعداً دلاليّاً مناسباً لما ورد في السياق من بيان حال المؤمنين، حين يساقون زمراً إلى الجنة.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلِيمَانٌ وَزَيْنُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿﴾ (الحجرات: ٧).

جرت المقابلة في هذه الآية الكريمة بين:

١- (حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ) — (كَرَهُ إِلَيْكُمْ)

٢- (الإيمان) — (الکفر) و (الفسوق) و (العصيان)

فقابل المفرد (الإيمان)، بمتعدد (الکفر)، و (الفسوق)، و (العصيان). "وفي الآية دلالة على أن أضداد الإيمان ثلاثة: كفر وفسوق وعصيان" ٥٧ وذلك أن الإيمان هو: "تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح.. ولا تجزئ المعرفة بالقلب، والتصديق، إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح" ٥٨.

فلا إيمان إلا بهذه الخصال الثلاث: التصديق القلبي، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح؛ لذلك قابل الله الإيمان بالکفر، والفسوق، والعصيان؛ لأنّ الإيمان قائم على ثلاثة خصال، وكل واحدة منها تقابل ما ذكر في الطرف المقابل (التصديق بالقلب) يقابلها (الکفر)

الذي هو التوكيد بالقلب، و(النطق باللسان) يقابلها (الفسوق)، وهو ما دلّ على القول الباطل، والمراد به هنا: الكذب، ويدل عليه الآية التي سبقتها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦)، ف"فسر الفاسق في هذه الآية بالكاذب" ٥٩، وكذلك الآية التي بعدها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بئسَ الإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: ١١)، "الاسم الفسوق وهو: التنابز باللقاب" ٦٠. وهذا يدل على أن الفسوق يكون بالقول. أما العمل بالجوارح فيقابلها العصيان.

ومن صور هذا العدول قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ (المطففين: ٧-٩)، وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين: ١٨-٢١). المقابلة في هذه الآيات على النحو الآتي:

- ١- كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ ----- كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ
- ٢- وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ----- وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ
- ٣- كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ----- كِتَابٌ مَّرْقُومٌ
- ٤- ..... يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ

زيدت جملة (يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) في ذكر كتاب الأبرار، وسبب هذا العدول ورد ذكره في تفسير ابن القيم. يقول: "أخبر تعالى أن كتابهم مرقوم، تحقيقًا. لكونه مكتوبًا كتابة حقيقية. وخصّ تعالى كتاب الأبرار: أنه يكتب ويوقع لهم بمشهد المقرّبين من الملائكة والنبیین سادات المؤمنين. ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار، تنويها بكتاب الأبرار، وما وقع لهم به، وإشهارًا له وإظهارًا لمكانتهم بين خواص خلقه، كما يكتب الملوك تواقع يعظمون بين الأمراء وخواص أهل المملكة، تنويها باسم المكتوب له، وإشهارًا بذكره. وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده" ٦١.

فاختصاص الأبرار دون الفجار بجملة (يشهده المقرّبون) كان لغاية التكريم والتفضيل، فهيهات هيهات بين هؤلاء وأولئك.

## ب - مقابلة اثنين بثلاثة :

ومن أمثلة ذلك العدول قوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوا يَخْسِرُونَ﴾ (المطففين: ٢-٣)، ففي هاتين الآيتين الكريمتين وقع العدول في المقابلة من جهتين: الأولى: من حيث العدد، حيث قابل اثنين في الطرف الأول:

- ١- "إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ" ٢- "يَسْتَوْفُونَ"

بثلاثة في الطرف الثاني:

- ١- "إِذَا كَالُوهُمْ" ٢- "أَوْ وُزِنُوا" ٣- "يَخْسِرُونَ".

أما الوجه الآخر للعدول فهو تغير الصياغة اللفظية في قوله "كالوهم أو وزنهم"، وعدم توافقتها مع صياغة ما يقابلها في الطرف الأول "إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ". والسبب في ذلك العدول، أنه عدل عن قول: "أكتالوا على الناس" إلى قوله "كالوهم أو وزنهم"، أي كالتوا لهم أو وزنوا لهم، فترك اللغة المأثورة، واستخدم لغة من لغات العرب، وهي لغة قليلة الاستعمال في كلامهم، قال عنها الفراء: "هو من كلام أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس" ٦٢، كما أنه ترك قول (أكتالوا أو اتزنوا)؛ لتقلها في الكلام، وقوله: (كالوهم أو وزنهم) أخف وألطف في الكلام، و انسبائها أفضل لتحقيق الموسيقى الداخلية في النص "ولكنة أخرى وهي أن المطففين هم أهل التجار، وهم يأخذون السلع من الجالبيين في الغالب بالكيل؛ لأن الجالبيين يجلبون التمر والحنطة ونحوهما مما يكال، ويدفعون لهم الأثمان عينًا بما يوزن من ذهب، أو فضة مسكوكين، أو غير مسكوكين. فلذلك اقتصر في ابتياعهم من الجالبيين على الاكتيال نظرًا إلى الغالب، وذكر في بيعهم للمبتاعين الكيل والوزن؛ لأنهم يبيعون الأشياء كيلًا، ويقبضون الأثمان وزنًا، وفي هذا إشارة إلى أنّ التطفيف من عمل تجارهم. فجاء هذا القول مطابقًا لواقعهم" ٦٣.

## ج- مقابلة ثلاثة باحثين:

ومن صورته قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ (البلد: ١٧-٢٠).

جاء العدول في هذه المقابلة في الطرف الأول، وذلك بذكر "وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ" في صفة أهل الإيمان، ولم يذكر ما يقابلها في صفة أهل الشرك، فلم يقل "ولم يتواصوا بالصبر ولم يتواصوا بالرحمة". والعلة في تخصيص هذه الصفة بالذكر في الطرف الأول دون ذكرها في الطرف الثاني، هي أنّ "من أوصاف المؤمنين تواصيتهم بالصبر، وتواصيتهم بالرحمة؛ لأنّ ذلك أشرف صفاتهم بعد الإيمان، فإنّ الصبر ملاك الأعمال الصالحة كلها؛ لأنّها لا تخلو من كبح الشهوة النفسانية، وذلك من الصبر. والرحمة ملاك صلاح الجامعة الإسلامية. قال تعالى: "رحماء بينهم". والتواصي بالرحمة فضيلة عظيمة، وهو أيضاً كناية عن اتصافهم بالرحمة؛ لأنّ من يوصي بالرحمة هو الذي عرف قدرها، وفضلها، فهو يفعلها قبل أن يوصي بها.. وفيه تعريض بأنّ أهل الشرك ليسوا من أهل الصبر، ولا من أهل الرحمة" ٦٤.

## د- الإيجاز والإطناب:

يعدّ الإيجاز والإطناب من أعظم أنواع البلاغة، وهو "الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل". ٦٥ و"كما أنّه يجب على البليغ في مظانّ الإجمال أن يُجَمِّلَ ويوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يُفَصِّلَ ويُشَبِّع، أنشد الجاحظ:

يُرْمُونَ بِالْخَطْبِ الطُّوَالَ وَتَارَةً وَحَيَّ الْمَلَّاحِظَ خَيْفَةَ الرَّقِيَاءِ ٦٦

البلاغة في نظر ابن سنان الخفاجي إيجاز، وإطناب، والإيجاز عكس الإطناب، والمقال هو الذي يحدد الأسلوب المناسب إيجازاً أم إطناباً، و"الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقلّ من عبارات متعارف الأوساط، والإطناب هو أدائه بأكثر من عبارته، سواء كانت القلّة أو الكثرة راجعة إلى الجمّل، أو إلى غير الجمّل" ٦٧.

ويأتي الإيجاز والإطناب كأحد ألوان العدول في المقابلة، ويحقق العدول من خلاله دلالات، ومعان جديدة. ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ (الانفطار: ١٢-١٦). المقابلة هنا قائمة بين "الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ"، و"وَأَنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ، يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ، وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ". وقد جاء الحديث عن الأبرار في هذه الآيات موجزاً، فاختصر في وصف حالهم بقوله: "لَفِي نَعِيمٍ". ولأنّ المقابلة في مقام إنذار، وتهويل جاء الإطناب في الحديث عن الفجار، ويتناسب ذلك مع ما ذكر قبلها، ﴿كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار: ١١-١٢)، "وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء، وإنّه عند الله من جلائل الأمور، ولولا ذلك لما وكلّ بضبط ما يحاسب عليه، ويجازي به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة، وفيه إنذار وتهويل وتشوير ٦٨ للعصاة ولطف للمؤمنين" ٦٩، كما يتناسب مع ذكر ما بعدها، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (الانفطار: ١٩)؛ فالعدول هنا يصور شدّة هول حال الكفار يوم القيامة.

أما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (المطففين: ٢٩-٣٥).

ابتدأت المقابلة بوصف حال الكفار بإطناب في الطرف الأول، بينما جاء وصف حال المؤمنين في الطرف الثاني موجزاً. وجاء الإطناب ليوضح تعدد أنواع الأذى الذي قاموا به لإيذاء المؤمنين، فهم "يجمعون بين الأذى بالإشارات وبالهيئة، وسوء القول في غيبتهم، وسوء القول إعلاناً به على مسامع المؤمنين، لعلمهم يرجعون على الإسلام إلى الكفر" ٧٠، بينما جاء الإيجاز في الطرف الثاني في تصوير حال المؤمنين، فقصر الوصف على قوله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ"، وقوله: "عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ"، أي في مقابلة ما زعم فيهم أنّهم ضالون، ليسوا بضالين، بل هم من أولياء الله المقربين، ينظرون إلى ربهم في دار كرامته. ٧١ وهذا الإيجاز لإفادة التنخيم، والتعظيم لحال المؤمنين، والتهويل لحال الكفار، والتقليل من شأنهم.

### ثالثاً: العدول في الترتيب

إن الترتيب شرط من شروط صحة المقابلة، ومخالفته يُعدّ عدولاً في المقابلة يحمل معه دلالات جديدة، ومن صور العدول في ترتيب المقابلة، قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة: ١ - ٨).

في هذه المقابلة قَدِمَ العقاب في الطرف الأول على الوصف "أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ"، بينما في الطرف الدال على ثواب المؤمنين قدم الوصف "أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ" على الثواب. وسرّ العدول في تأخير الوصف في مقام ذكر حال الكفار، هو أنّ الوصف جاء "كالنتيجة لكونهم في نار جهنم خالدين فيها، وإخباراً بسوء عاقبتهم في الآخرة" ٧٢، وتعليلاً لخلودهم في النار فهم "أشدّ الناس شراً"، فتناسب ذلك تقديم الوعيد على وصفهم.

بينما اختلف ذلك الترتيب في الطرف المقابل، "وقدم الثناء عليهم على بشارتهم على عكس نظم الكلام المتقدم في ضدّهم، ليكون ذكر وعدهم كالشكر لهم على إيمانهم، وأعمالهم فإنّ الله شكور" ٧٢، وذكر الرازي هذه المسألة فقال: "والوجه في حسن تقديم الوعيد على الوعد وجوه (أحدها): أن الوعيد كاللدواء، والوعد كالغذاء، ويجب تقديم الدواء حتى إذا صار البدن نقيّاً انتفع بالغذاء، فإنّ البدن غير النقي كلّما غذوته زدته شراً هكذا قاله سقراط في كتابه الفصول [...]، وكما أنّ فيه بشارة، كأنّه تعالى يقول: لما لم يكن بدّ من الأمرين ختمت بالوعد الذي هو بشارة في أنّي أختم أمرك بالخير، ألسنت كنت نجساً في مكان نجس، ثم أخرجتك إلى الدنيا طاهراً، أفلا أخرجك إلى الجنّة طاهراً" ٧٤.

ومن صور العدول في الترتيب أيضاً قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِزِ الْغَفَّارِ﴾ (غافر: ٤١-٤٢).

ففي هذه المقابلة جاء العدول في الترتيب بتقديم جملة "تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ"، وتأخير جملة "وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِزِ الْغَفَّارِ"، ولو أنّ ترتيب المقابلة جرى على نسقه المثالي لجاءت على النحو الآتي:

أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ ----- تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ  
أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِزِ الْغَفَّارِ ----- تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ

السرّ البلاغي في هذا العدول، هو أنّ التقديم في هذه الآية كان لمعنى الاستغراب، والتعجب، والاستنكار، فكان له حق التقديم، وذلك أنّ "جملة تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ بيان الجملة "تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ"؛ لأنّ الدعوة إلى النار أمر مجمل مستغرب، فبيّنه بيان أنّهم يدعونه إلى التلبس بالأسباب الموجبة عذاب النار. والمعنى: تدعونني للكفر بالله، وإشراك ما لا أعلم مع الله في الإلهية" ٧٥، وأما تأخير قوله: "وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِزِ الْغَفَّارِ"، لكونه "بياناً لمجمل جملة أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ". وإبراز ضمير المتكلم في قوله: "وَأَنَا أَدْعُوكُمْ"؛ لإفادة تقويّ الخبر بتقديم المسند إليه على خبره العقلي. ٧٦

### رابعاً: العدول عن الحقيقة إلى المجاز

ومن أمثلة العدول إلى المجاز قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ نَارٍ حَامِيَةٍ﴾ (القارعة: ٦-١١).

تقابل الآيات الكريمة السابقة حال الناس يوم الحساب، وهم صنفان: صنف حسن حالهم، وهم أهل السعادة، وصنف فظع حالهم، وهم أهل الشقاء. وقد عدلت فيها المقابلة إلى المجاز، فالطرف الأول منها: "فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ"، وتقل الموازين كناية عن كونه بمحل الرضى من الله تعالى لكثرة حسناته؛ لأنّ ثقل الميزان يستلزم ثقل الموزون، وأما توزن الأشياء المرغوب في اقتنائها،

وقد شاع عند العرب الكناية عن الفضل والشرف، وأصالة الرأي بالوزن ونحوه، وبضد ذلك يقولون: فلان لا يقام له وزن.. فَلَذَلِكَ لَمْ يَصْرَحْ فِي الْآيَةِ بِذِكْرِ مَا يُثَقَّلُ الْمَوَازِينَ لِطُهُورِ أَنَّهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ. "٧٧ وأما وصف الحياة بـ "راضية" فهو "مجاز عقلي؛ لأن الراضي صاحبها راض بها فوصفت به العيشة؛ لأنها سبب الرضى أو زمان الرضى. وقوله: "فَأَمَهُ هَاوِيَةً" إخبار عنه بالشقاء، وسوء الحال، فالأم هنا يجوز أن تكون مستعملة في حقيقتها، وهاوية: هالكة، والكلام تمثيل لحال من خفت موازينه يومئذ بحال الهالك في الدنيا؛ لأن العرب يكونون عن حال المرء بحال أمه في الخير والشّر لشدة محبتها ابنها فهي أشد سروراً بسروره وأشدّ حزناً بما يحزنه [...] و يجوز أن يكون "أمه" مستعاراً لقرّه ومأله؛ لأنه يأوي إليه كما يأوي الطفل إلى أمه." ٧٨

يضيء العدول صوراً دقيقة لحال الصنفين، من خلال المجاز؛ للتأثير في المتلقي، فيرغبه في الصنف الأول، وينفره عن الصنف الآخر، والذي يصور أشبع صورة لأهل الشقاء، فيبادر بالعمل الصالح نفوراً منه من أن يكون من أهل الشقاء، ورغبة في أن يكون من أهل السعادة والرضا. فالطرف الأول من المقابلة حقيقي في (عيشة راضية)، وإن كانت راضية مجاز عقلي، أما الطرف الثاني من المقابلة مجازي في قوله: (أمه هاوية) للتعبير عن هلاكه.

ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ عَلِيهَا غَبْرَةٌ نَرَاهُهَا قَتْرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ﴾ (عبس: ٢٨-٤٢).

المقابلة هنا قائمة بين:

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ----- وَوُجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ عَلِيهَا غَبْرَةٌ  
ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ----- نَرَاهُهَا قَتْرَةٌ

المقصود بالإسفار "النور والضياء، يقال: أسفر الصبح إذا ظهر ضوء الشمس في أفق الفجر، أي وجوه مهتلة فرحاً وعليها أثر النعيم. و"ضاحكة" أي كناية عن السرور، و"مستبشرة" معناها فرحة، [...] وأسناد الضحك والاستبشار إلى الوجوه مجاز عقلي؛ لأن الوجوه محل ظهور الضحك والاستبشار، فهو من إسناد الفعل إلى مكانه، ولك أن تجعل الوجوه كناية عن الذوات كقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٧). وهذه وجوه أهل الجنة المطمئنين بآلا المكرمين عَرْضًا وَحُضُورًا. والغبرة بفتحين الغبار كله، والمراد هنا أنها معفرة بالغبار إهانة ومن أثر الكبوات<sup>٧٩</sup> وهي كناية عن حالة الإرهاق والاصفرار والشحوب وذهول الموقف. " والفترة بفتحين شبه دخان يغشي الوجه من الكرب والغم." ٨٠

ومن شواهد هذا النوع من العدول قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٠-٢١). "يقول تعالى ذكره لعباده المخاطبين بهذا القرآن المؤثرين زينة الحياة الدنيا على الآخرة: ليس الأمر كما تقولون أيها الناس من أنكم لا تبعثون بعد مماتكم، ولا تجاوزون بأعمالكم، لكن الذي دعاكم إلى قيل ذلك محبتكم الدنيا العاجلة، وإيثاركم شهوراتها على أجل الآخر، ونعيمها، فأنتم تؤمنون بالعاجلة، وتكذبون بالأجلة" ٨١، وقد عدل عن كلمة (تكرهون) التي هي ضد (تحبون) إلى "تذرون" أي "تدعون الآخرة والعمل لها" ٨٢ وفي ذلك كناية عن شدة إعراضهم عن الآخرة وتكذيبهم بها.

## خاتمة:

أبرزت هذه الدراسة الموسومة بـ "العدول في المقابلة وأساراه البلاغية في الربع الأخير من القرآن الكريم - دراسة بلاغية"، الآتي:

- ١- التعبير القرآني له خصوصية في استخدام المقابلة، وتوظيف هذا اللون في أبهى صورها.
- ٢- للمقابلة أهمية كبيرة في فهم النص القرآني؛ لأنّ جُله وارد عليها، كما أنّها إحدى وسائل البرهنة، والاستدلال، والإقناع، والتأثير في المتلقي.
- ٣- استخدمت المقابلة استخداماً نفسياً، كالتهيب، والترغيب، والإنذار، والبشارة.
- ٤- أسبقية التراث البلاغي في اكتشافه ظاهرة العدول قبل النقد الحديث، وتناوله بمسميات كثيرة، منها: الاتساع، والتوسع، والانحراف.
- ٥- ارتباط العدول بأطراف العمل الأدبي الثلاثة: المرسل، والمتلقي، والنص، حيث تتجلى وظيفته في التأثر، والتأثير بين بعضهم بعضاً؛

لإتمام عملية التواصل بينهم في بيئة العمل الأدبي.

- ٦- تتمثل وظيفة العدول الرئيسية فيما يحدثه من مفاجأة تثير المتلقي، وتستثير ذهنه وتدفعه للبحث عن أسرار هذه الظاهرة.
- ٧- إن استخدام البلاغيين القدماء لمصطلح العدول، لا يختلف كثيراً عن استخدام النحاة له في بادئ الأمر، حيث سار على المستوى نفسه عند الفريقين، حتى جاء عبد القاهر الجرجاني، وأظهر قيمة العدول الفنية، وأثره في إكساب اللغة معانٍ جديدة.
- ٨- يتمثل العدول في المقابلة في الخروج عن نسقها المألوف، وذلك في الانحراف عن أحد شروطها الموجبة صحتها، كالعدول في التركيب، والعدول في الكم، والعدول في الترتيب. وأيضاً يشكّل العدول من الحقيقة إلى المجاز أحد ألوان العدول في المقابلة؛ مما يؤدي إلى خلق دلالات جديدة، تثري النص، وتزيد في فائدته، وجماله، وتأثيره.

### توصيات

- ١- مواصلة البحث في هذا الموضوع، وتطبيقه على الأجزاء المتبقية من القرآن الكريم.
- ٢- التعمق في دراسة هذا الموضوع من الناحية الإحصائية؛ لبيان الإعجاز العددي في القرآن الكريم في موضوع التقابل.
- ٣- التعمق في دراسة هذا الموضوع لإظهار مدى أثره على المباحث البلاغية الجديدة كالحجاج البلاغي مثلاً.

## الهوامش

- ١ ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، م ١٠، ١١م، دار صادر، بيروت، [د.ت] ص ٥٤٠.
- ٢ فيود، بسيوني: علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، ط ٢، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٥٢.
- ٣ كراتشكوفسكي، إ.ج: علم البديع والبلاغة عند العرب، تحقي: محمد الحجيري، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٤٢.
- ٤ شيخ أمين، بكري: البلاغة العربية في ثوبها الجديد: علم البديع، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٥٩.
- ٥ بازي، محمد: تقابلات النص وبلاغة الخطاب: نحو تأويل تقابلي، الدار العربية للعلوم، ١٤٢١هـ، ص ٩.
- ٦ الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٢، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص ٤٥٨.
- ٧ ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، م ١١، ص ٤٢٠.
- ٨ الفراهيدي، الخليل: العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ج ٢، ص ٤٠.
- ٩ الموصلي، ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج ٢، ص ٥٦.
- ١٠ العمري، محمد: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٩م، ص ٢١٥.
- ١١ الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الأعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٤٢٩-٤٣٠.
- ١٢ المرجع نفسه، ص ١٠٢.
- ١٣ دفع الله، وفاء، ومحمد داود، محمد: الانزياح الدلالي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠١٤م، ص ٢٠٩.
- ١٤ بو حوش، راجح: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم، عنابة، ٢٠٠٦م، ص ٤١.
- ١٥ مشبال، محمد: مقولة النوع وموقع الرواية في النظرية الأدبية الحديثة، م ١١، ع ٤، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٢٩.
- ١٦ المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ط ٢، الدار العربية للكتاب، ص ١٠٠.
- ١٧ المرجع نفسه، ص ١٠١.
- ١٨ بولحواش، سعاد: شعرية الانزياح بين عبد القاهر الجرجاني وجان كوهن، ص ٩.
- ١٩ المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص ١٠١.
- ٢٠ بوحلاسة، نوار: الانزياح بين أحادية المفهوم وتعدد المصطلح، ع ٣، مجلة مقاليد، جامعة قسنطينة، الجزائر، ٢٠١٢م، ص ١٢.
- ٢١ عبد المطلب، محمد: البلاغة الأسلوبية، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، ١٩٩٤م، ص ٢٦٨.
- ٢٢ ساندريس، فيلي: نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة: خالد جمعة، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م، ص ٥٨.
- ٢٣ حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٢٤٧.
- ٢٤ مشبال، محمد: مقولة النوع وموقع الرواية في النظرية الأدبية الحديثة، ص ٢٩.
- ٢٥ رجاء، عيد: البحث الأسلوبية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص ١٤٨.
- ٢٦ الخرشنة، أحمد: أسلوبية الانزياح في النص القرآني، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م، ص ٩٨-٩٩.
- ٢٧ مشري، عبد الناصر: دلالات العدول الصريفي في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج خضر، باثه- الجزائر، ٢٠١٤م، ص ٣٧.
- ٢٨ الخرشنة، أحمد: أسلوبية الانزياح في النص القرآني، ص ٢٠.
- ٢٩ عزام، محمد: الأسلوبية منهجاً نقدياً، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٩م، ص ٥٢-٥٤.
- ٣٠ البجيري، أسامة، تحولات البنية في البلاغة العربية، دار الحضارة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٩٢.
- ٣١ مشري، عبد الناصر: دلالات العدول الصريفي في القرآن الكريم، ص ٤٤.
- ٣٢ فطوم، مراد حسن: التلقي في النقد العربي في القرن الرابع الهجري، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٢م، ص ٥.
- ٣٣ الخرشنة، أحمد: أسلوبية الانزياح في النص القرآني، ص ٢٠-٢١.
- ٣٤ المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص ٨٦.

- ٣٥ قدوسي، نور الدين: الانزياح ونظرية التلقي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، [د.ت.]، ص٣.
- ٣٦ ويس، أحمد: الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٢٩٧.
- ٣٧ سلوم، تامر: الانزياح الدلالي الشعري، مجلة علامات، م٥، ج١٩، ١٩٩٦م، ص١٠٩.
- ٣٨ ربابعة، موسى: الأسلوبية، مجلة علامات، ج٢٧، ١٩٩٨م، ص٣٣.
- ٣٩ مرتاض، عبد الملك: شعرية التصيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٠٠، ص١٣٠.
- ٤٠ ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج٢٥، ص١٠٠.
- ٤١ المصدر السابق، ج٢٥، ص١٣٥.
- ٤٢ المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ٤٣ ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي السلامة، ج٧، ط٢، دار طيبة للنشر، ١٩٩٩م، ص٢٧٢.
- ٤٤ ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتوير، ج٢٤، ص٢٢.
- ٤٥ الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الأعجاز، ص١٧٤.
- ٤٦ الزمخشري، أبو القاسم: الكشف في حقائق غوامض التنزيل، ج٢، ص٤٦٠.
- ٤٧ الطبري، أبو جعفر: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، ص٢٢٣.
- ٤٨ ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتوير، ج٢٥، ص٧٠.
- ٤٩ المصدر السابق، ص٩١.
- ٥٠ المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ٥١ ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتوير، ج٢٥، ص٣٣٤.
- ٥٢ المصدر السابق، ص٢٣٥.
- ٥٣ المصدر السابق، ص٣٣٤.
- ٥٤ المصدر السابق، ج٢٩، ص٢٢٢.
- ٥٥ ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتوير، ج٢٤، ص٧١-٧٢.
- ٥٦ درويش، أحمد، و جودع، عزة: البلاغة القرآنية دراسة في جماليات النص القرآني، مكتبة الرشد، ٢٠١٠م، ص١٦٧.
- ٥٧ الطوسي، أبو جعفر محمد: التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد العاملي، م٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص٢٤٥.
- ٥٨ الأجرى، أبو بكر محمد: الشريعة، تحقيق: الوليد بن محمد الناصر، ج١، مؤسسة قرطبة، الدوحة، ١٩٩٦م، ص٢٤٧.
- ٥٩ ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتوير، ج٢٦، ص٢٢٩.
- ٦٠ ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٢٧٦.
- ٦١ الجوزية، ابن القيم: التفسير القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٥٠٨.
- ٦٢ ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتوير، ج٣٠، ص١٩١.
- ٦٣ المصدر نفسه، ص١٩١، ١٩٢.
- ٦٤ المصدر السابق، ص٣٦١.
- ٦٥ الأندلسي، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ، ص١٢٢.
- ٦٦ السيوطي، جلال الدين: الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، م٢، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ص١٦١.
- ٦٧ القزويني، جلال الدين: الإيضاح في علم البلاغة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢، ص١٧١.
- ٦٨ تشوير بمعنى أشار إليه. انظر، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، ص٤٩٩.

- ٦٩ الزمخشري، أبو القاسم: الكشاف في حقائق غوامض التنزيل، ج٤، ص٧١٦.
- ٧٠ ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج٢٠، ص٢١٣.
- ٧١ ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ج٨، ص٣٥٤.
- ٧٢ ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج٢٠، ص٤٨٣.
- ٧٣ المصدر السابق، ص٤٨٥.
- ٧٤ الرازي، فخر الدين: مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج٣٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، ص٢٤٨.
- ٧٥ ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج٢٤، ص١٥٢.
- ٧٦ المصدر السابق.
- ٧٧ ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج٢٠، ص٥١٣.
- ٧٨ المصدر السابق، ص٥١٤.
- ٧٩ ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج٢٠، ص١٣٨.
- ٨٠ المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ٨١ الطبري: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، م٧، ص٤١٣، ٤١٤.
- ٨٢ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، بيروت، لبنان.

## قائمة المصادر والمراجع

### القرآن الكريم.

- ١- الأجرى، أبو بكر محمد: الشريعة، تحقيق: الوليد بن محمد الناصر، ج١، مؤسسة قرطبة، الدوحة، ١٩٩٦م.
- ٢- الأندلسي، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ٣- بازي، محمد: تقابلات النص وبلاغة الخطاب: نحو تأويل تقابلي، الدار العربية للعلوم، ١٤٢١هـ.
- ٤- البحيري، أسامة، تحولات البنية في البلاغة العربية، دار الحضارة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ٥- بو حوش، راجح: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم، عنابة، ٢٠٠٦م.
- ٦- بولحواش، سعاد: شعرية الإنزياح بين عبد القاهر الجرجاني وجان كوهن، الجزائر، ٢٠١١م.
- ٧- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الأعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ٨- الجوزية، ابن القيم: التفسير القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، [د.ت].
- ٩- حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ١٠- درويش، أحمد، وجدوع، عزة: البلاغة القرآنية دراسة في جماليات النص القرآني، مكتبة الرشد، ٢٠١٠م.
- ١١- الرازي، فخر الدين: مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج٣٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ١٢- رجاء، عيد: البحث الأسلوبى، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٢م.
- ١٣- الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٣، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- ١٤- الزمخشري، أبو القاسم: الكشاف في حقائق غوامض التنزيل، ج١، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ١٥- سانديرس، فيلي: نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة: خالد جمعة، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م.
- ١٦- السيوطي، الحافظ جلال الدين: الإقتان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٢، وزارة الشؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية.
- ١٧- السيوطي، عبد الرحمن: الإقتان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

- ١٨- السيوطي، عبد الرحمن: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد منصور، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- ١٩- شيخ أمين، بكرى: البلاغة العربية في ثوبها الجديد: علم البديع، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ٢٠- الطبري، أبو جعفر: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
- ٢١- الطوسي، أبو جعفر محمد: التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد العاملي، ج٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٢- ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- ٢٣- عبد المطلب، محمد: البلاغة الأسلوبية، الشركة المصرية العالمية، لونغمان، ١٩٩٤م.
- ٢٤- عزام، محمد: الأسلوبية منهجاً نقدياً، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٩م.
- ٢٥- العمري، محمد: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.
- ٢٦- الفراهيدي، الخليل: العين، تحقيق عبد الحميد هندواي، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٢٧- فطوم، مراد حسن: التلقي في النقد العربي في القرن الرابع الهجري، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٣م.
- ٢٨- فيود، بسيوني: علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، ط٢، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٩٩٨.
- ٢٩- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، بيروت، لبنان.
- ٣٠- القزويني، جلال الدين: الإيضاح في علم البلاغة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٣١- ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي السلامة، ج٧، ط٢، دار طيبة للنشر، ١٩٩٩م.
- ٣٢- كراتشكوفسكي، إ.ج: علم البديع والبلاغة عند العرب، تحققي: محمد الحجيري، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٣٣- مرتاض، عبد الملك، شعرية القصيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٠٠.
- ٣٤- المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ط٢، الدار العربية للكتاب، [د.م.]، [د.ت.].
- ٣٥- ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، م١٠، ١١م، دار صادر، بيروت، [د.ت.].
- ٣٦- الموصلي، ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحويهي، وبدوي طبائنه، ج٢، دار نهضة مصر، القاهرة.
- ٣٧- الموصلي، ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج٢، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ٣٨- ويس، أحمد: الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.
- الرسائل الجامعية والمجلات والصحف
- ١- بوحلاسة، نوار: الانزياح بين أحادية المفهوم وتعدد المصطلح، ج٢، مجلة مقاليد، جامعة قسنطينة، الجزائر، ٢٠١٢م.
- ٢- الخرشة، أحمد: أسلوبية الانزياح في النص القرآني، رسالة دكتوراة، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م.
- ٣- دفع الله، وفاء، ومحمد داود، محمد: الانزياح الدلالي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠١٤م.
- ٤- ربابعة، موسى: الأسلوبية، مجلة علامات، ج٢٧، ١٩٩٨م.
- ٥- سلوم، تامر: الانزياح الدلالي الشعري، مجلة علامات، م٥، ج١٩، ١٩٩٦م.
- ٦- قدوسي، نور الدين: الانزياح ونظرية التلقي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، [د.ت.].
- ٧- مشبال، محمد: مقولة النوع وموقع الرواية في النظرية الأدبية الحديثة، م١١، ع٤، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ٨- مشري، عبد الناصر: دلالات العدول الصريح في القرآن الكريم، رسالة دكتوراة، جامعة الحاج خضر، باثنه- الجزائر، ٢٠١٤م.